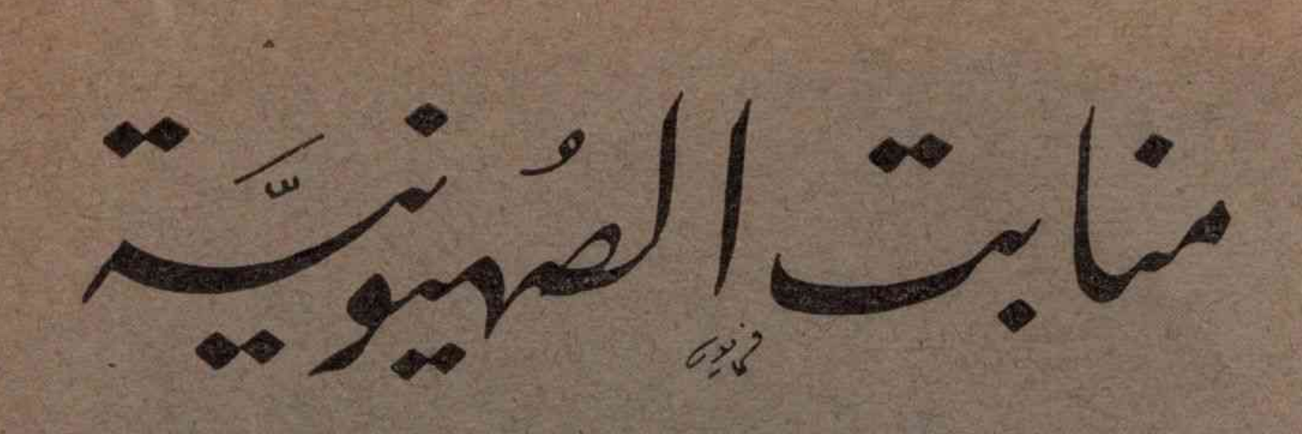


قصة تاريخية

مقتبسة من التوراة

لتحليل الغريزة الصهيونية الموروثة

من اقدم العصور

تأليف

توفيق قربان

الطبعة الثانية

بيروت

١٩٥٣

منابت الصهيونية

قصة تاريخية

مقتبسة من التوراة

لتحليل الغريزة الصهيونية الموروثة
من اقدم العصور

تأليف

توفيق قربان

الطبعة الثانية

بيروت

١٩٥٣

منابت الصهيونية

ان الاصول عليها ينبت الشجرُ

تذكرة لبلفور بن سمت بن جوصن بن روزنتال بن روزنبرغ بن بلومنتال بن شتينبرغ بن فنكلشتين بن مراري بن فجعيئيل بن اخيرع بن عوبيد بن بوعز بن ...!

لا اكراه في الدين — لكم دينكم ولي ديني

«يا عُرب والثارات قد خُلقت لكم»

من قصيدة ثائرة

للشاعر «القروي» الثائر

لو كنتَ من اهلِ المكارمِ لم تكن   من جيب غيرك محسناً يا بلفرْ

* * *

تجني على وطن المسيح مدمّراً   وتذيعُ انك في البلادِ معمرُ
أو ما ليوضاس اللعين وآلهِ   الا فلسطين الشهيدة مهجرُ

* * *

أقلقتمُ الدنيا بوطنكم أمـا ـ من هوة فيها الابالس تحشرُ
وادي يهوشافاط مفتوح لكم   وعساهُ قبل الحول لا يتذمرُ

* * *

عن أيّ يعقوب ورثت شجاعة   يا من بمن رضعوا البسالة يسخر

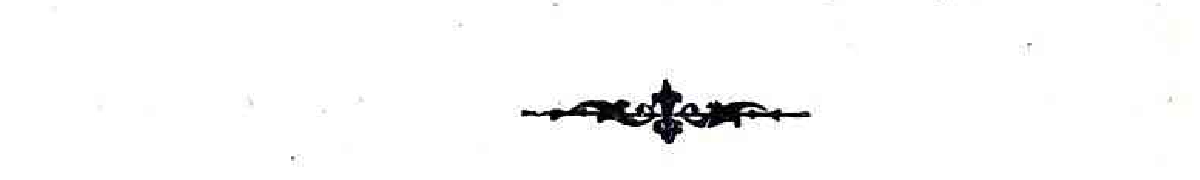
* * *

هاتوا لنا بالله مأثرة اذا   ذكرت يحق لكم ان تفخروا
شيلوخ اكرمكم كفول مفاضلٍ   الموت من كل المصائب اكبرُ

من للأيادي البيض في تاريخكم والحكم ذاك الاله الاحمرُ
توراتكم ملأى بكل شنيعةٍ فعجبت كيف بكفرها لا نكفرُ
مصر نحن سياطها لجلودكم فالرأي كل الرأي أن تتمصروا
فيها تكدس ذلكم حجراً على حجرٍ جفتهُ فخلدتهُ الاعصرُ
يدعونهُ الهرم الكبيرَ وانهُ لو تشعرون هو الهوان الاكبر

☆ ☆ ☆

أما وقد خلع المرائي ثوبهُ فليخلعن الغمدَ هذا الابترُ
وليلبسنّ الارجوان غلالةً تطوى على هام الرجال وتنشرُ
ولتعركنّ الظالمين سنابكٌ حتى يحجّبهم دمٌ لا عِثيرُ
يا عُرب والثارات قد خلقت لكم اليوم تفتخرُ العُلى إن تثأروا



تمهيد :

ان واضع هذه القصة ، كما هو معروف ، هو نجل اللغوي الكبير المرحوم داود قربان ، استاذ الكثيرين من اعلام الفكر والقلم المنتشرين في اقطار الشرق العربي ، وبلدان المهجر .

فهو ، اذاً ، اديب لبناني. الا انه نزح عن موطنه الى اميركا الجنوبية وقضى في البرازيل ردحاً من العمر طويلا . وهو يعيش اليوم في مدينة سان باولو .

وتوفيق قربان من كتاب القصة المعروفين هناك . وهو من الذين شغفوا بتعريب الطريف من الاقاصيص القصيرة العالميـــة ، والروايات الشهيرة في عالم الادب ، فقد نقل الى اللغة العربية قصصا لمكسيم غوركي الروسي ، وبيكون الاسباني ، ومونيترو لوباطو البرازيلي ، وهرمن زيدرمن الالماني ، وغيرهم .

غير انه لم يكتف بالترجمات ، وانما عني أيضاً بوضع القصة التي يعالج فيها نواحي من صميم المجتمع ، ويضفي عليها من اسلوبه وروحه وفنه .

اما « منابت الصهيونية » التي نمهد اليها ، فقصة يقول مؤلفها انهـــا «مقتبسة من التوراة لتحليل الغريزة الصهيونية الموروثة من اقدم العصور» وقد ذكر المؤلف في مقدمته لها ، خمسة منابت يستحلها اليهود في

بسبيل الحصول على المال ، وهي : (١) الاحتكار والنهب (٢) بالاسعار . بيع الاخ. (٣) غش الشريك والحم والخال ، وسرقة الاخ وخداع الأب «٤» المتاجرة بالعرض والشرف . «٥» التخلي عن الزوج .

وبعد ان يسرد البراهين الكافية من التوراة على هذه المنابت الخمسة ، يجعل للصهيونية منبتا سادسا ، وهو القصة نفسها التي يعنونها بانها : «اكبر سرقة وادهى خديعة عرفها التاريخ » .

ولست بمسهب القول في تحليل هذه القصة ولا موجزه ، فهي من توراة ذلك الشعب « المختار » ! تعكس لـــنا معتقدات ذلك الشعب « المختار » ومثله ، ومفاهيمه ، وجوهر ما يكنه لغيره من الشعوب !!

واني لأرى ان افضل ما ينطبق على هذه القصة هو القول المأثور :

« من فمك ادينك يا اسرائيل »



المقدمة

قبل زمان القصة باربعمئه وخمسمئة سنة

المنبت الاول

من اجل المال الاحتكار والنهب بالاسعار

وكان يوسف هو المسلط على الارض وهو البائع لكل شعب الارض. فجمع يوسف كل الفضة الموجودة في أرض مصر وأرض كنعان بالقمح الذي اشتروا . فلما فرغت الفضة من ارض مصر أتى جميع المصريين الى يوسف قائلين اعطنا خبزاً فلماذا نموت قدامك لان ليس لنا فضة« وانت الحاكم المسؤول عن خير الرعية » فقال يوسف هاتوا مواشيكم فأعطيكم بمواشيكم ان لم يكن فضة . فجاؤوا بمواشيهم الى يوسف فأعطاهم خبزاً بالخيل وبمواشي الغنم والبقر وبالحمير . وفي السنة التالية جاؤوا وقالوا اذ قد فرغت الفضة ومواشي البهائم عند سيدي لم يبق قدام سيدي الا اجسادنا وأرضنا . فاشترى يوسف كل ارض مصر « لفرعون ! » وأما الشعب فنقلهم الى المدن من اقصى حد مصر الى اقصاه . تك ٤٧ : ١٣ – ٢١

المنبت الثاني

من اجل المال بيع الاخ

فقال يهوذا ما الفائدة ان نقتل اخانا ونخفي دمه؟ تعلوا فلنبيعه للاسمعيليين. فسمع له اخوته . فسحبوا يوسف وأصعدوه من البئر وباعوه للاسمعيليين بعشرين من الفضه تك ٣٧ : ٢٦ – ٢٨

المنبت الثالث

من أجل المال غش الشريك والحم والخال

وكان يعقوب يرعى غنم خاله لابان – وله من نتاجها حصة، فبحيلة او.. – صارت الغنم الضعيفة للابان والقوية ليعقوب! فاتسع الرجل كثيراً جداً وكان له غنم كثير وجوار وعبيد وجمال وحمير تك ٣٠: ٤٢–٤٣

واما لابان فكان قد مضى ليجز غنمه فسرقت راحيل زوجة يعقوب الرابعة اصنام ابيها. وخدع يعقوب قلب لابان الارامي اذ لم يخبره بأنه هارب. فهرب هو وكل ما كان له «وما وصلت اليه يده» وقام وعبر النهر وجعل نحو جبل جلعاد تك ٣١: ١٩ – ٢١

من أجل المال سرقة الاخ وخداع الاب

واخذت رفقة ثياب عيسو ابنها الاكبر الفاخرة التي كانت عندها في البيت والبست يعقوب ابنها الاصغر والبست يديه وملاسة عنقه جلود جديي المعزى. واعطت الاطعمة التي صنعت في يد يعقوب ابنها فدخل الى ابيه وقال يا ابي! فقال ها نذا. من انت يا بني. فقال يعقوب لابيه انا عيسو بكرك قد فعلت كما كلمتني قم اجلس وكل من صيدي لكي تباركني نفسك «اللحم الذي جاء به كان لحم معزى، مع ان اسحق الشيخ الاعمى كان مشتهياً لحم الصيد، وكان عيسو قد ذهب الى البرية يتصيد. واما يعقوب اللص فانه لم يكن رجلاً لذلك خدع أباه وسرق اخاه» فقال اسحق تقدم لاجسك فتقدم فجس جلد المعزى فقال الشيخ الصوت صوت يعقوب ولكن اليدين يدا عيسو. «ولكنه عاد فكرر»

هل انت هو ابني عيسو ؟ فقال « بوجه صفيق لان الكذب والسرقة في دمه وفي اصول كيانه » انا هو . فأكل الشيخ وبارك السارق أي انه أوصى له بزعامة العشيرة الزمنية والدينية . تك ٢٧ : ١٥ — ٢٩ .

المنبت الرابع

من أجل المال — المتاجرة بال...

وحدث جوع في الارض. فانحدر ابرهيم الى مصر ليتغرب لان الجوع في الارض كان شديداً وحدث لما قرب أن يدخل مصر انه قال لسارة امرأته اني قد علمت انك امرأة حسنة المنظر فيكون إذا رآك المصريون انهم يقولون هذه امرأته فيقتلونني ويستبقونك . قولي انك اختي ليكون لي خير بسببك وتحيا نفسي من اجلك . فحدث لما دخل ابرهيم الى ارض مصر ان المصريين رأوا المرأة انها حسنة جداً ورآها رؤساء فرعون ومدحوها لدى فرعون ، فأخذت المرأة الى بيت فرعون . فصنع الى ابرهيم خيراً بسببها وصار له غنم وبقر وعبيد وجمال وأتن وحمير « وشرف كبير » تك ١٢ : ١٠ — ١٦

المنبت الخامس

من أجل التفاحة — التخلي عن الزوج

ووجد رأوبين لفاحاً في الحقل وجاء به الى ليئة أمه. فقالت راحيل اعطني من لفاح ابنكِ . فقالت لها أقليل انك أخذت رجلي فتأخذي لفاح ابني فقالت راحيل أذاً يضطجع معك الليلة عوضاً عن لفاح ابنك . وقالت ليئة ليعقوب اني استأجرتك بلفاح ابني تك ٣٠ : ١٤ — ١٦

القصة

المنبت السادس

اكبر سرقة وأدهى خديعة عرفها التاريخ

الليل صافي الاديم والدراري على اشد تألقها في ما كان يظنه الاقدمون سماء حتى خدعوا وحسبوها مصابيح علقتها القدرة الالهية من اجل خدمتهم وانشراحهم . ليلة من ليالي البادية العربية يطيب فيها الخيال ويلذ التفكر في العراء ، ظهره الى جذع نخلة ، ورأسه في ركبتيه وقد طوقتها ذراعاه ، قعد رجل مرصوص البنية كبير الهامة طويل الشعر كث اللحية . وكانت أمارات التفكر العميق والاستضمام (١) الكلي بادية على وجهه النضر . وكان الرجل عالماً من اكبر علماء عصره : تخرج في كبرى جامعات مصر على اكبر ائمة ذلك العصر فأتقن الفلك والرياضيات والطب والفلسفة والكيمياء وعلم المفرقعات والتنويم المغناطيسي والخدعات المرسحية . ولما انهى علومه رحل الى بلاد العرب فمكث فيها زماناً طويلاً أخذ فيه علم الشريعة والسياسة والوفاء (٢) عن أحد كهنة العرب . هذا كان موسى بن عمرام ويوكابد اللاويين

لما أتم موسى دروسه في الهياكل المصرية « خرج الى اخوته لينظر في

(1) CONCENTRAÇAO
(2) DIPLOMACIA

أتقاهم؛ (١) لانه كان قد اكتشف انه ليس ابن ابنة فرعون. فرأى حالة محزنة، استعباد شعب برمته، وكان الاستعباد اشد ما سمع به في التاريخ لانه استعباد أخذاً بثأر: فسلف العبرانيين يوسف استعبد الامة المصرية في حكم فرعون سامي حتى عاد المصريون لا يطيقون الحياة فثاروا، وكان جيش السلالة المصرية الاصلية قد زحف من الجنوب، فخلعوا فرعون يوسف ونادوا بملكهم الشرعي فرعوناً وبحثوا عن يوسف ليشفوا غليل صدورهم بارتشاف دمه فعثروا عليه جثة هامدة على فراشه في قصره العظيم، والمرجح انه انتحر خوفاً من انتقام الشعب الثائر لأخذ الثأر.

ففرعون المنتصر كان ملكاً جديداً لم يكن يعرف يوسف (٢) بل كان يعرفه عدواً، فأمر باستعباد العبرانيين

رأى موسى هوة الشقاء التي كان يتقلب فيها ابناء بين قذارة العيش ومرارة العذاب، فتحرك دمه وناجى نفسه: «انني العبراني الوحيد الذي اتيح له ان يتعلم ويدرك الاسرار. أفما اختارني القدر لانقاذ شعبي بأن أخرج بهم من هذه البلاد واجعل منهم امة حرة قوية يخشى بأسها كل الشعوب؟ ما الذي يمنعني؟ ما علي الا ان اعزم وأجد والظفر حليفي ان شاء رع

وتذكر الشاب ايضاً ان كل مساعيه السياسية في مصر تذهب أدراج الرياح لان امراء العائلة المالكة كثيرون، ولان المتشوقين الى السدة الفرعونية والوظائف العالية من امراء غير العائلة المالكة أكثر. ومر

---

(١) خر ١ : ١١ وأع ٧ : ٢٢ (٢) خر ١ : ٨

بباله انه ليس مصرياً وإن وُلد في مصر وتربى في مصر في اعم حجر دلال . فالمولد ليس شيئاً ولا يصح الا الاصل فما دام على وفاق مع المصريين قالوا له مواجهة يا سمو الامير وينعمون عليه بلقب ابن ابنة فرعون ، ولكن اذا شجر بينه وبينهم خلاف فلا القاب ولا تربية ولا مولد : ما على رأس لسان المصري الا التعيير بأنه عبراني ، بأنه ابن ابن عمرام اذا صدقت الوالدة ، وبأنه لولا الصدف وتحنن ابنة فرعون لكان يجبل الطين ويحمل اللبن ، والسوط يلهب ظهره مثل عمرام ابيه

مرت هذه الخطرات بباله فاكتنه السر ووزن نفسه على الالتحاق ببني جنسه وشعر ان فيه قوة للزعامة والقيادة . وبات تلك الليلة في قصره لا تغمض له عين لشدة ما اعتراه من القلق : وان لم يوفق ؟ اذاً يكون قد انتقل على غير جدوى من رفع الى خفض ومن وفر الى مرض من قصر الفراعنة الى كوخ الارقاء

حرب نفسية هائلة دارت رحاها في عقله بين داعي الواجب وراعي الراحة ، بين دافع القومية ومقعد الذاتية ، وظل يتقلب على مثل القتاد الى ان بزغ الصباح فنهض وخرج من قصره وهو لم يبت في قضيته رأياً

بيد ان المقادير كفيلة بتسيير الحوادث على غير ما يريد الرجال أو بأسرع مما يشاؤون ، فما لم يقرره تمعن ليل طويل قررته لمحة بعد انجلاء الليل . ذلك ان موسى خرج لا يلوي على شيء فرأى رجلاً مصرياً يضرب رجلاً عبرانيا فشعر ان الامر تجاوز حد الاحتمال وانه لا يجوز له التغاضي وان أحب ان يكون ابناً لابنة فرعون . فانتهر المصري وحاول ابعاده فقاومه المصري وشتمه بما يوازي قولهم «تور كو» فطار صواب موسى فقتل المصري وطمره في الرمل

وفي اليوم التالي خرج « واذا عبرانيان يتخاصمان فقـــال للمذنب لماذا تضرب صاحبك فقال من جعلك رئيساً وقاضياً علينا ؟أمفتكر انت بقتلي كما قتلت المصري ؟ فخاف موسى » . وبعد ساعات قليلة بلغه ان فرعون سمع بالامر وانه أمر بالقاء القبض عليه ليقتله فهرب من وجـــه فرعون وسكن في أرض مديان (١)

انقطع الحبل وقضي الامر ، ولم يبق في نفس موسى شيء من مغويات الاقامة في قصر الفراعنة . الآن صار قلباً وقالباً لبني جنسه ، صار عدو فرعون وعدو ابنة فرعون التي ربته . عليه الآن اعداد شعبه بالنُشرة(2) الحكيمة ليوم الخروج العظيم ، يوم الاستقلال ، يوم الحرية

وتعرف الشاب الى كاهن عربي فأقام عنده ودرس عليه الشرع العربي وتنظيم الحكومات كما كان متناقلاً مشهوراً عن حكومـــة حمورابي وحكومة التبابعة في اليمن وعن نظم الفينيقيين الذين كانوا قـــد مروا حديثاً بتلك الاصقاع في هجرتهم من شواطىء البحر الاحمر الى شواطىء سوريا البديعة

ورأى موسى ان لا سبيل الى العودة الى مصر ما دام الملك الذي امر بقتله على العرش ، فعزم على الاقامة في مديان . وتزوج ابنة معلمه، ولبث بين دراسة ورؤية احلام ورسم خطط يترقب النهزة الملائمة لنزوله الى مصر . وكان في رعايته لغنم حميه منفسح وسيع لتسريح الفكر ومجال كبير لدرس مجاهل الصحراء وأتياهها ومخارمها حسابا لتضييع الجيش

---

(١) خر ١ : ١١ - ١٥

(2) PROPAGANDA

المصري اذا خطر للمصريين ان يطاردوه في الصحراء بعد خروجه بشعبه

وفيما هو يجيل الفكر في خطته انتبه الى انه نشأ على عبادة رَع وأمون وانه اذا ظل على ما تعوده كرهه الاسرائيليون الذين ما زالوا يذكرون ان لهم الهاً غير آلهة المصريين ، وان الههم بحسب ما دونه يوسف في سفر التكوين وتناقله شيوخهم كان صديقاً حميماً لآبائهم الاقدمين : فمع ابرهيم اكل عجلاً مشوياً (١) ومع يعقوب عمل دق صراع بالليل (٢) اذاً تحتم عليه ان يتبرأ من رع وينفض يديه من أمون ويـدين بدين آبائه واجداده . ولكن على فرض انه ذهب الى العبرانيين وقال لهم « اله آبائكم ارسلني لانقذكم » فسألوه « وما اسم اله آبائنا ؟ » فماذا يقول ؟ وكان حموه عارفاً بتاريخ الشعوب ودياناتها فأطلعه على سره وسأله ما اسم اله آبائي واجدادي ؟ فقال يثرون « اهيه الذي اهيه »(٣)

ووصل الى موسى ان فرعون الذي كان يطلب نفسه مات وان اكثر الموظفين الذين حنقوا عليه ماتوا ، فاستكد ذهنه في اتمام خطة الاستقلال ، فبدا له ان ينحدر الى مصر ويلتقي اخاه هرون ثم يجمع شيوح بني اسرائيل ويحرضهم على الرحيل من مصر قائلاً ان الرب اله آبائهم ارسله ، فان سألوه وما اسم اله آبائنا أجابهم اهيه . ولكنه عاد ففطن انه لا بد لهم من طلب آية لكي يصدقوه ويجعلوه موضع ثقتهم ، لذلك سار نفسه : « ولماذا تعلمت في جميع حكمة المصريين ؟ فعندي من الاسرار ما لا يعرفه الا المولجون »(٤) الممتازون من كهنة مصر ، فاذا

---

(١) تك ١٨ : ١ — ١٣ (٢) تك ٣٢: ٢٤-٢٩(٣) خر ٣ : ١٤

(4) INICIADOS

شهد الاسرائيليون شيئاً يسيراً مما أصنعه اصبحوا لي أطوع من البنان »
وهم بالسفر الى مصر ، غير انه اضطرب اضطرابا عنيفاً وكاد ينذري
عن عزمه لان شبح المعضلة الكبرى لاح له فتساءل : « وفقنا الله آباءنا
وخرجنا من مصر وجولنا في هذه البرية متجهين الى بلاد الموعد ، ولكن
اذا طمع احد الملوك او الامراء وهاجمنا فبماذا ندافع عن حياتنا وعن
انعامنا ؟ اننا سنهرب من مصر عزلا فكيف الحصول على السلاح ،
السلاح بحد ذاته هين لان قوافل التجار بين اليمن والحجاز ودمشق كثيرة
وكلها تبيع السلاح ، ولكن الثمن ... فاذا قايضنا بالمواشي امسينا
لا عافطة ولا نافطة ، وقد لا يقبل التجار بالثمن الا ذهباً وفضة ، واذا
اضطررنا الى المرور في ارض احد الامراء فكيف نستأذن دون تقديم
هدية من الفضة او من الذهب اولا ؟ انها مشكلة كطروح ! فاما حل لهذه
المشكلة او خيبان عن مقاودة فرعون

في الليلة الصافية الاديم التي ذكرناها كان موسى مقبلا على هذه القضية
كل الاقبال ، فصار يفرض ويمتحن ، ويقلب ويجرب ويستبين ويستشف
والطموح يستنزفه . وكلما توهم انه رأى بارقة امل ، اراه اياها انعام النظر
برقاً خلبا . ولبث في مكانه يستحث الفكر الى ان اخذت الكواكب
يتضاءل نورها ولاحت في افق الشرق البعيد مسحة خفيفة من النور تبشر
باقتراب النهار . وسرت عندئذ نسمة لطيفة من الشمال فانعشت موسى
بعد عناء الليل ، فرفع بوجهه نحو الشمال وعبأ صدره من الهواء العليل
وقال : « واهاً لك ريح الشمال انك تهبين من الارض التي استوطنها
اجدادي والتي ارجو ان اعود اليها . وكأني بك آتية تحملين الي ذكريات

اسلافي العظام يعقوب واسحق وابرهيم . ريح الشمال انك مررت بمرا فأية رسالة تؤدين من تربة جدي الاكبرين يعقوب وابرهيم وكل منهما باقعة زمانه في تيسير المستعسر ؟ » فباغمته ريح الشمال هامسة في اذنه : «انني مررت بقبري ابرهيم ويعقوب ،فان كان يعوزك مال فما لك الا ان تستصبح بمشكاتهما . اوما تذكر « كيف اتسع يعقوب كثيراً وكيف اصاب ابرهيم خيراً كثيراً ؟» لا تتردد ! بل استحل ماينفعك ويبلغك الى مأربك ولا تعبأ بما تسميه خواز الضمير ، فان مثال اسلافك الصالحين ينقض ما لقنتك اياه كتب الهند » . فاغمض موسى عينيه وتنشق الهواء نشقة ريان مستزيد وقال بتمهل عقل ذكي حكم وتوكيد قلب ايّد عَزمَ « فليكن كما يشاء القدر ولأجزينك يامصر جزاء موفوراً » .

اسعد الله مساءك يا ابن امي ، كيف حالك يا هرون وكيف حال اليشابع امرأة اخي وكيف الدهر على ناداب وابيهو والعازر وايثامار ؟ وكيف فنيحاس ؟ صار رجلا الآن ! ويلاه كيف تغيرت يا هرون ! ولكن لا غرابة فقد مرت على اغترابي حقبة طويلة . اسمع ، ولنترك ترجمات العواطف الى ساعة اخرى . انا وصلت في هذا المساء لاطلاعك على شؤون خطيرة ، فاصغ الى كل كلمة اقولها وع كل ما تسمعه لانك ستكون نائبي في مخاطبة الشعب وحجاج فرعون . انت تعلم اني اغلف الشفتين ثقيل اللسان «١» اما انت فانك تتكلم، لذلك انا اكلمك واضع في فيك وانت تكلم الشعب . انت تكون لي فماً وانا اكون لك الهاً موحياً «٢» انظر ! علينا ان نخرج شعبنا من مصر ونكون منه دولة

---

(١) خر ٤ : ١٠ و ٦ : ٣٠ (٢) خر ٤ : ١٦

قوية . الشعب كثير يبلغ مئات الالوف عداً ولا تنقصه لكي يصير امة عظيمة الا الزعامة النشيطة الحكيمة ولا يرعبنك جهله وانحطاطه فالامم لاتقوم بالمتعلمة المتوسطة ولا بالمتحذلقة العالية . لا تقوم الامم الا بالقادة الانبياء «١» الاقوياء على الشدائد . هذا اسرائيل بعدد الرمل وهأنذاالزعيم القوي الحكيم . انني اقود هذا الشعب وادبره وادربه على الحرب فانظم منه جيشاً لا يقف في طريقه احدلاامور يون ولاحثيون ولاحويون ولا كنعانيون والآن ماعلينا في بادىء الامر الا ان نقنع شيوخ بني اسرائيل بوجوب خروجهم من البلاد ومتى وافقونا نذهب الى فرعون ونأتيه بالحيلة فنقول « ان إله آبائنا التقانا وامرنا ان نخرج الى البرية مسير ثلاثة ايام لنذبح له «٢» والكلام يسرك اننا متى خرجنا الى البريةلا نعود ... واما مطاردة فرعون ايانا فلا تخف منها لانني اصبحت خريتاً ماهراً في المفاوز المحرقة فاذا تبعني فرعون يفنى هو وجيشه عطشاً وجوعاً

وكان موسى يتكلم وهرون يسمع مضطرباً لانه أخذ يتخيل أزوال المصاعب فقال : يا أبا جرشوم ، الحرب بالتصور سهلة جداً ولكن تعال فنلمس حقائق الامر الخشنة الباردة . فكيف يتسنى لنا اقناع الشيوخ وهم كما تعرف قد ولدوا تحت النير ونشأوا والنير على رقابهم ؟ انهم قد تعودوا الذل وألفوا الاهانة حتى كادت رجولتهم تندثر بل كادت دوائر الرجولة فيهم تسفيها الرياح . ولعمري انه اسهل على شيوخنا ان يتآمروا مع تبع او ملك اشور لكي تجيء احدى هاتين الدولتين بجيوشها الجرارة وتطرد فرعون واتباعه من مصر وتحل محله وتستعبدهم متبدلة

---

(1) Genios

(٢) خر ٣ : ١٨

العقارب من سياط فرعون ، اجل ان هذا لاسهل عليهم من الاقدام على حركة تؤول الى انعتاقهم التام . انهم يا اخي ادمنوا الاطاعة للغريب والسوط في يده ، فكيف تأمل ان يطيعــوك وانت ابن جنسهم ولا مقطرة ولا دهق ولا اوتاد ولا سجن ولا سوط لك حتى تكون لكلامك الهيبة التي لا تدافع ؟

– جمالك يا اخي ! ان ما تدلي به من الحجة اعملت فيه الروية وانا بعد في البرية وقد اخذت للامر اهبته . فاعلم ان الشعب البسيط الجاهل الذي لا يعرف شيئاً من اسرار الطبيعة يرتعد فرقاً امام ما لا يعرفه . انه يؤمن بالعجائب ! ويتمرغ خوفاً على قدمي من يصنع العجائب ومن هذه العجائب التي تذهب برشاد العامة وتجعلهم كالبهيمة المطمئنة الى من يمسك مقودها عندي الشيء الكثير بفضل اساتذتي العظام كهنة هيكل ايزيس . ومتى جمعنا الشيوخ اريتهم آية او اثنتين فيصبحوا رهن اشارتنا على انني انوي عمل العجيبة امام جمهور الشعب لان هذا الوحش الذي نسميه جمهور الشعب اشد تصديقاً واسرع انقياداً فهو يحمل الشيوخ على الاستسلام الينا

– صدقتك يا اخي ، ولو كنت مطلعاً على شيء تعلمته في الهياكل ما كنت اعترضت لان خوف الشعب من الغيب أشد من خوفه من الجالسين على العروش . هذا واذا قلت لهم انك تصنع هذه العجائب باسم اله آبائهم وأجدادهم ، باسم الاله الذي تغدى عجلا مشوياً مع جدنا ابرهيم وتصارع كل الليل مع جدنا يعقوب ، اذا أكدت لهم انك لا تفعل شيئاً الا بأمر اهيه وباذنه فانهم يكونون مثل العجينة في يدك . ولكن يا أخي بقيت مسألة واحدة تشغل البال . » فابتسم موسى ابتسامة الحازر

وقال وما هي ؟ فقال هرون المال ! المال ! وكيف تدير شؤون امة كبيرة ولا مال لديك ؟ انك سوف تحتاج الى السلاح والى ... الى ... لا اقول رشوة بل هدية ، الخلاصة ، كل استعداد لا يدعمه مال كثير انما هو تأسيس بنيان على شفا جرف هار

— انني ارى فيك يا اخي السياسي الحكيم المتروي ، على انني قتلت هذه المسألة درساً . فكم ليلة قضيتها في البيداء اسرح النظر في الكواكب الوهاجة كأنها صحاف من ذهب يميد بها وجه السماء . وكم تشهت نفسي الحصول على سلم جدي يعقوب لكي اصعد الى السماء وافقشها قفشاً ! حسناً فعل جدنا في عدم صعوده على السلم والا ما كان ابقى لنا شيئاً كما انه لم يبق شيئاً من الغنم لخاله وابي امرأتيه ، لابان . ولكن ما فات الجد تنشب فيه مخاليب الحفيد . فاعلم يا هرون ... هرون ! هرون !! أين انت ؟ ألعل حديث الذهب سحرك ؟ اعراني انتباهك لانه مطلوب منك تنفيذ الخطة . اسمع :

« ويكون اننا حين نمضي اننا لا نمضي فارغين بل تطلب كل امرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها امتعة فضة وامتعة ذهب وثياباً فنضعها على بنينا وبناتنا فنسلب المصريين » (١)

— و ...

— قلت لك اسمع ، هذا هو متن القرار ، هذه خلاصة الخطة فاسمع الشرح والتفصيل : هل توجد بين العبرانيات امرأة ليست لها صواحب كثيرات من جاراتها المصريات؟ وهل توجد اسرائيلية لا تعطي من طرف

---

(١) خر ٣ : ٢١ — ٢٢

اللسان حلاوة فتصف الحديث كما يقتضي الحال ؟ بلا شك ستقول لي « كلا اذاً تزور الاسرائيلية جارتها المصرية وتقول لها بعد المقدمات اللازمة «اننا سنخرج الى البرية مسيرة ثلاثة ايام ونذبح لاله آبائنا اهيه » فتسألها المصرية ولماذا لا تذبحون له هنا؟ فتجيبها الاسرائيلية لان ىرع وأمون لا يسمحان لاله غريب بالدخول الى البلاد ، ولان مولانا المعظم وولي نعمتنا فرعون يغضب علينا ، فما لنا الا البرية وبعد ان تحور وجهها حتى يبدو عليه الانكسار التام تلطف صوتها الى نغمة الاستعطاف ثم تقول ولكن ياسيدتي المبجلة انني اسألك نعمة ، غداً نذهب وانا الامة الفقيرة لا ثياب لي ولا زينة عندي فكيف اظهر بين الناس ؟ لا عيب في فقري ولا عار في ثيابي ما دمت اشوي لبنا واغسل ثيابا لك ولغيرك من سيداتي المصريات ،ولكن أعيدٌ وطمرٌ بالٍ ؟ فاذا حسن في عينيك اعرتني من بعض ثيابك الكثيرة ومن بعض مصاغك وآنية طعامك وشرابك ، فاذا برزت عبدتك بهذه الأبهة الملوكانية ينظر اليها الجميع ويحسدونها ويعظمون مولاتهم قائلين اذاه كانت هذه غسالة السيدة الفلانية فما القول في مولاتها ؟ انها ولا شك من الحتحورات (١) فتسكر المصرية من هذا الاطراء وتقدم للاسرائيلية الشيء الكثير . ومتى حصلت الاموال في يد العبرانيين اريد ان ارى اذا كان اله المصريين نفسه قادراً ان يستعيدها

— ولكن يا أخي اسمح لي ان اقول مع احترامي لشخصك ، ان هذه هي السرقة بعينها

— سرقة ؟ كلا ياأخي . فعليك ان تميز بين اخذ مال ابن جنسك

---

(١) الالاهات المصريات

واخذ مال الغريب . فاخذك المال العبراني سرقة ولكن اخذك المال المصري حلال . هذا اسمه سياسة . ولا اعني مال المصري وانتهينا بل مال كل غير اسرائيلي .

– اصبت والان تذكرت باية وسيلة اتسع جدنا يعقوب كثيراً وكيف اصاب الخير ابانا الاكبر خليل اهيه

– وهل نسيت ماذا فعل يوسف الصديق بالمصريين ؟ كم قطعة من الفضة او النحاس ابقى لهم ؟

– احسنت . ولكن لنفرض ان الشعب اخذ ما يقدر عليه على سبيل العارية ثم هربنا فما انتفاعنا نحن بالسرقة ... اعني بسلب المصريين ؟

– سلم عقلك يا أخي متى صرنا في البرية نجمع المال منه

– أأنا سلم عقلي ام انت ؟ اين انت هائم؟ ان كنت انت من سلالة لاوي بن يعقوب ففي الشعب الوف من سلالة فارص وزارح ابني ثامار ويهوذا بن يعقوب (١). فكيف تحلم بجميع الذهب والفضة متى صرنا في البرية

– لكل مشكلة حل مهما اعتاصت ، وما دام باب الحيل يفتح للذين يعرفون كيف يقرعونه فكل ما يتمنونه ايحصلون عليه. اما الآن فلست مقدماً على شرح كل الخطة لئلا تتراكم المواد عليك فتهمل بعضها . ومتى صرنا في البرية اطلعتك على كل شيء لانك انت وزيري ورئيس كهنتي ويميني وفمي ولساني فهلم بنا الى الشيوخ

ومضى موسى وهرون وجمعا جميع شيوخ بني اسرائيل فقال هرون: « ان اخي موسى ظهر له الرب الحقيقي اله آبائنا وأجدادنا واخبره انه

---

(١) تك ٣٨ : ١٤ – ١٧

سمع انينكم من استعباد المصريين اياكم وتذكر عهده ليعقوب واسحق وابرهيم (١) ثم وعد موسى باخراجكم من تحت اثقال المصريين وانقاذكم من عبوديتهم بزعامة موسى الذي عينه الرب قائداً وحاكماً ونبياً لكم».
ولكن الشيوخ لم يريدوا ان يهتموا بهذه الفكرة الشريفة، امنية الاستقلال، بسبب صغر نفوسهم الناتج من العبودية القاسية (٢) اما هرون فانه وقف في وسطهم، باشارة من موسى، وخاطبهم هازاً نفوسهم مستفزاً اباءهم بكلام بليغ ونطق فصيح قائلاً: «ان قرون الاستعباد أخمدت جذوة الحرية فيكم، ان الخنوع الدائم جعل تطلع شمس الاستقلال جريمة في عيونكم، حتى انكم ولو أحببتم ان تحلموا بالحرية ما كانت لكم من دمكم قوة تساعدكم على التمتع بالحلم اللذيذ. ولكن لا تيأسوا. فتحت هذا الظاهر الذليل، في اعماق نفوسكم، لا يزال ينبض عرق الحياة الحرة نبضاناً خفيفاً لا تشعرون به، ان نار الاستقلال التي كانت تتأجج في صدور كبارنا الاقدمين وهم في البادية، لا تزال منها في صدوركم بقية لا تحسونها لان رماد العصور يغطيها. على انكم متى عدتم الى البادية، متى تنشقتم هواء الحرية، متى ذقتم أول ثمارها، متى استراحت آذانكم من تلقي الاوامر من غريب الجنس فما صدر لكم أمر الا من اسرائيلي مثلكم، عندئذ يعود الدم الحر الى الدوران في عروقكم وتصبح شرارة الحرية ناراً ذات ضرام. ام لعلكم تقولون نحن ضعفاء والمصريون اصحاب حول وطول فكيف نقاويهم؟ ولكن هل نسيتم ان اله آبائكم اله قدير لا يقف امام وجهه رع ولا أمون ولا

---

(١) خر ٦: ٢-٦ (٢) خر ٤: ٩

ملوخ ولا تموز ؟ ثقوا بأن اهيه سيخلصكم بذراع ممدودة وأحكام عظيمة (١) وها هو قد أعطى أخي موسى علامة بأن غير اسمه الى يهوه للدلالة على بداية عهد جديد معكم . واما زعيمكم الجديد الذي يقودكم الى ربوع الحرية ويجعل منكم شعباً قوياً فهو قادر على الوقوف في وجه المصريين لانه يعرف جميع علومهم وأسرارهم انه يعرف كل طبهم وتنجيمهم ، وفي فنون السحر لا يجاريه عراف مصري . فشدوا هممكم واتكلوا عليه ،

وكأنّ التحضيض على طلب الحرية حرك نفوس الشيوخ ، مع هذا ظل الخوف مستحوذاً عليهم ولكن لما سمعوا ان موسى يبذ كل عرافي مصر في فنون السحر انتعشت قلوبهم وقالوا اذا كان هذا صحيحاً فاننا له تابعون ، غير انه من يضمن انا انه قدير كما يدعي ؟ فوثب موسى وقال «حسماً للجدال انظروا وآمنوا» وكانت في يده عصاً فطرحها على الارض امامهم فصارت حية فهربوا منها مرتاعين فصرخ موسى لاتخافوا لا تخافوا انظروا فالتفتوا من بعيد واذا به قد امسكها بذنبها فعادت عصاً في يده فبهتوا معجبين به ولكنهم استزادوه ، فادخل يده في عبه ثم اخرجها واذا هي برصاء مثل الثلج ، فامتقعوا تحيراً . فرد يده الى عبه ثم أخرجها فأذا هي قد عادت كما كانت . فصفقوا له تصفيقاً حاداً وصاحوا بالحقيقة ان روح يهوه فيكَ وليس في كل مصر من يجاريك . فاحتمس موسى وقال خذوا هذه أيضاً ، ما هـذا ؟ قالوا ماء قال تمعنوا فيه وذوقوه فاجابوه لا مراء انه ماء فأخذه موسى وسكبه على الارض امامهم وقال والآن ماذا صار فقالوا مفتونين انــــه دم .

---

(١) خر ٦ : ٦

فزعق فيهم موسى أفتريدون بعد شيئاً من آياتي ؟ قالوا كفى انك زعيمنا وقائدنا نبينا ثم قاموا واحداً واحداً وبايعوه

وكانت خطة موسى أن تلجأ الى المداراة في اول الامر فيذهب الى البرية برخصة من فرعون ومتى صار هناك تمكن من تضييع من يقتفي أثره من الجنود واهلاكه ظمأ وصغباً ولغباً . ففي يوم من الايام دخل على فرعون وهرون بصحبته فحيّ ووقف محتشماً احتشاماً مبالغاً فيه شأن كل ذي غرض وحيلة . فسأله فرعون عما به فقال له تكلم . فقبّل ابو ناداب الأرض بين يدي الملك وقال أيها الملك الجليل ، ذو القدرة والسلطان ، ان اله آبائنا اله شديد الغيرة سريع الغضب لا يرتد عن حموّ غضبه (١) ان لم نخرج الى البرية مسير ثلاثة ايام ونذبح له ونوقد محرقات ذكية رائحة سرور تفوح من شحم الكباش ودهن العجول ، فانه التقانا بذاته وأمرنا بتطييب نفسه بالذبائح . فابتسم فرعون ابتسامة ذات معنى وسأل اذا كان الهكم مغرماً باللحم المشوى فلماذا لا تشوون له كفايته هنا دون ان تتجشموا مشاق السفر في البرية القاحلة ؟ فقال هارون نخاف من اغضاب جلالتكم إذا نحن قدمنا ذبائح لاله غريب لا يدين أهل البلاد بدينه ، وزيادة على هذا نخشى اتقاد غضب الالهين العظيمين امون ورع ان بلغت بنا القحة الى ادخال خصمهما الى ديارهما . فضحك فرعون ضحكة مبقبقة وقال ويحك يا منافق : الظاهر ان ضرب السياط علمك اجادة الحيلة ! فهل ترهب حقيقةً بطش أمون ورع أيها الكافر ؟ واما غضبي فلا تحسب له حساباً لانني لا اعرف الهكم ولا اخشاه فقدموا له من

---

(١) ٥ : ٣ . ٧ : ٣ - ٥

المحرقات مـا شئتم هنا في البلاد . واما هـذه الحيلكة (١) لكي تبطلا الشعب من أعماله (٢) فانها لا تسلك عليّ . اذهبا الى واجباتكما

ولما ازداد فرعون شدة في معاملة الاسرائيليين وفرغت كنانة موسى من سهام الحيل عقد زعماء الشعب برئاسة موسى اجتماعاً سرياً قرروا فيه اولاً سلب المصريين ثانياً — اغتيال من يقدرون اغتياله من رجال مصر ثالثاً — الرحيل في الليلة التي تنفّذ فيها المؤامرة

واتخذت التدابير التامة بحيطة ليس فيها مغرز انتقاد . فطلب الاسرائيليون بحسب ارشادموسى ، من المصريين امتعة فضة وامتعة ذهب وثياباً بحجة انهم ينوون التعييد لالهم . ورقت قلوب المصريين وعميت بصائرهم حتى اعاروهم

وفي مساء النهار الاخير عند حلول الليل المعين لتنفيذ المؤامرة الفدائية أخذ كل اسرائيلي دهاناً أحمر ودهن عتبة بابه العليا والقائمتين . وكانت التعليمات ان لا يخرج عبراني من بيته في الليل قبل الساعة المعينة للرحيل

وطافت فرق المغتالين عند نصف الليل فكانوا اذا رأوا دهاناً احمر تجاوزوا وحيث لم تكن علامة فشّوا الباب وبطشوا بالنائمين . ثم هبّ الاسرائيليون هبة واحدة متفق عليها وهربوا من ارض مصر ولم يتخلف أحد قط خوفاً من انتقام المصريين فتم لموسى مـا اختطّهُ مـن اكراه المترددين على الرحيل

وارتحل بنوا اسرائيل من رعمسيس الى سكّوت نحو ستمئة الف ماشٍ من الرجال عدا الاولاد وحملوا معهم ما أخذوه غارة ، وساقوا أمامهم ما قدروا عليه من غنم وبقر — مواشٍ وافرة جداً (٣)

---

(١) كل فعل رباعي «مجرد» تستعمله العامّة وفيه فعل ثلاثي قاموسي يجب اعتباره صحيحاً لأنه لم يبق خارج القاموس الا لاسباب تافهة لا محل لذكرها هنا (٢) خر ٥ : ٤ — ٥ (٣) خر ١٢ : ٣٥ — ٨٣

ولم يذهب موسى في طريق ارض الفلسطينيين (١) مع انها اقرب الطرق الى ارض « الموعد » وما ذلك الا لان الجيوش المصرية تعرف تلك الطريق فيسهل عليها الفارين . فضرب موسى في بطن الصحراء حيث لا طعام ولا ماء الا في واحات قليلة مذرورة في المهامه يعرفها موسى ويجهلها قواد الجيوش

وكان موسى يقظاً حذوراً لم تفته فائتة في الاستعداد حتى انه مع زحمة السرقة والمؤامرة والاغتيال والفرار لم ينس رفات يوسف (٢) فحمله معه تنفيذاً لوصية المرحوم بحسب الظاهر ، ولكن الواقع انه لم يعلق في كفه شيء أفضل منه ليكون طلسما مقدساً يؤثر في الشعب ، لان الشعب – والشعب ممتاز بالجهل والعمى في كل العصور – يميل بل يريد بل يحتم أن يقدم له رؤساؤه شيئاً مرئياً ملموساً يقدمه وينسب اليه العجائب ولا فرق عنده بين كونه تمثالاً منحوتاً من معدن أو حجر وكونه شبه تمثال منجراً بسكين المطبخ أو عظمة من العظام المبعثرة في المقابر . يكفي أن يقال له : « هذا مقدس يعمل عجائب » فخذ لك على اكرام واحترام وعبادة . واذا حملت الاثر المقدس امام الشعب وطوفت به في المدينة أو في البرية اهتجت فيه النعرة الخرافية وثورت هائج البذل فصرت أدنى ما تكون من جيوب افراده

بعدما عبر الهاربون (ومعهم أموال السرقة الكبرى التي لم يدون التاريخ

---

(١) خر ١٤ : ١٧ (٢) خر ١٣ : ١٩

مثيلة لها من يوم سطرت الفيدا (١) الى يومنا هذا) على الدبر (٢) وقد جزرت عنه المياه ، ومر عليه الجيش المصري والبحر آخذ بالمد والطغيان فهلك كله أو قسم منه ، كان موسى يحلم باقتراب اليوم الاكبر الذي يجتمع فيه الذهب المسروق فيتكوم صبراً صبراً امامه . وكان يتبدى له انه تكفي منه اشارة في محفل رسمي فينهال الذهب عليه انهيالاً .
اما هارون فكان يضحك في سره ويقول « مسكين أخي ! صحيح انه تعلم في القصر الفرعوني واقتبس من ايدي الكهنة ، ولكني اريد ان أرى سحنته وقد قابل هذا الشعب الذي يغلي في عروقه دم ابراهيم ويعقوب ويهوذا وراحيل ويوسف وثامار » ولمعت عينا هارون ثم أضاء وجهه كانه نشأ يرى المعركة الدهائية التي سوف ينعقد عبيرها على موسى والشعب، او كانه كان مسروراً سلفاً من فشل مسعى أخيه الذي « تعلم في المدارس » وانتصار الشعب الهمجي الذي لا يحتاج في المحافظة على المال الا الى غريزة مالية صحيحة

وساء فأل موسى بادىء ذي بدء ، فبعد مناورة بحر سوف وتلف المصريين بثلاثة ايام ابتدأ الشعب يتذمر ويتهدد ، وكان موسى يعتقد ان الاسرائيليين طينة في يده . بل انهم يوم حادثة البحر تذمروا : هل لانه ليست قبور في مصر أخذتنا لنموت في البرية ؟ ماذا صنعت بنا حتى أخرجتنا من مصر ؟ أليس هذا الكلام الذي كلمناك به في مصر قائلين كفَّ عنا فنخدم المصريين ؟ (٣)

---

(١) كتب الهند المقدسة التي عنها اخذت الاديان الراقية بأدبياتها وأساطيرها أما مباشرة او استطراداً

(٢) قطعة تملظ في البحر كالجزيرة يعلوها الماء وينضب عنها

(٣) خر ١٤ : ١١ — ١٢

وجاؤا الى مارة لم يقدروا ان يشربوا ماء لانه مُر ، فتذمروا قائلين ماذا نشرب «١» فشعر موسى ان حبل الزعامة بالٍ

وبعد أيام قليلة في برية سين التي بين ايليم وسينا تذمر كل جماعة اسرائيل على موسى وهارون : « ليتنا متنا موتاً طبيعياً في ارض مصر إذ كنا جالسين عند قدور اللحم نأكل خبزاً للشبع فانكما اخرجتمانا الى هذا القفر لكي تميتا كل هذا الجمهور بالجوع » (٢) وبعد سبعة أيام نزلوا في رفيديم ولم يكن ماء ليشرب الشعب فخاصم الشعب موسى وقالوا اعطنا ماء لنشرب ، لماذا اصعدتنا من مصر لتميتنا وأولادنا بالعطش (٣) فاستيقن موسى عندئذٍ ان حبل الزعامة كاد ينقطع وخاف أن يستفحل الامر ان هو أفسح مجالاً للمجادلة ، فاعتزل من وسطهم ولما صار في عزلة صرخ متألماً ماذا افعل بهذا الشعب ، بعد قليل يرجمونني . واعتراه تفتير في عزمه فتضجر قائلاً : ألعلي حبلت بجميع هذا الشعب او لعلي ولدته حتى أحمله في حضني كما يحمل المربي الرضيع ؟ غداً يبكون علي قائلين أعطنا لحماً لنأكل لقد أثقل هذا الشعب حاذي وجعل الحياة علي حيص بيص «٤»

الحديدة حامية وحساب تسلطه على الشعب لم يصح . ولكنه ثابت اليه ركزته وتذكر انه منشأ الاكليروس فتشددت عزائمه وصغرت في عينه الكبائر فقال لا بد اذاً من الالتجاء الى السياسة ، وكما صنعت بالمصريين سأصنع بك يا اسرائيل . يعقوب ! جدي يعقوب ! أين أنت ؟ الآن وقتك أيها العبقري . وصار موسى لا يكلم أحداً بل يمشي معتزلا مقطباً دائم التفكير

---

(١) خر ١٥ : ٢٣ — ٢٤ (٢) خر ١٦ : ٣
(٣) خر ١٧ : ٣ (٤) عدد ١١ : ٢ — ١٤

وفيما كان يهيم في احدى الليالي الحالكة بين المضارب سمع صوتاً خفيفاً في احدها فتسرق متطلعاً من خصاص المضرب فرأى على نور الموقد الضئيل جماعة من بني يهوذا وسمعهم يتآمرون عليه متهمين اياه بالتنبل . ووقعت في مسمعه هذه الكلمات : هو من لاوي ونحن من يهوذا وقد قال جدنا يعقوب « في مجلس لاوي لا تدخل نفسي ، بجمعه لا تتحد كرامتي » واما عن أبينا يهوذا فانه قال « يهوذا اياك يحمدك اخوتك يسجد لك بنو أبيك وجثا وربض كاسد » (١)

فأجفل موسى وتقهقر مذعوراً وكأن الخطر المحيق به شحذ غرار همته فعول على قتل العصفورين بحجر واحد : على جمع الذهب والتخلص من المزاحمين المتآمرين وفي تلك الليلة فتحت له أبواب الحيلة على مصاريعها

دعا موسى هرون جلسة سرية ولما تحققا امنة الخلوة قال موسى « لقد بلغ الحزام الطبيين وكدنا نقع عن الدابة . فالآن لا بد لنا من الدهوة الكبرى فاسمع لي : من انت أو من أنا حتى يطيعنا هذا الشعب اطاعة عمياء ؟ من نحن حتى نصدر قوانين يخضع لها بنو جنسنا خضوعاً لا نذيب فيه خصوصاً وقد بان لنا مزاحمون من بني يهوذا ؟ ومن يدريك بأن غيرهم من بقية الاسباط لا يكيدون لنا أيضاً ؟ اذاً لا بد لنا من سن القوانين واصدار المراسيم باسم الرب ، بختم أهيه ، موقعاً عليها باصبع يهوه . عندئذ يخضع لنا الشعب بل يخنع هلعاً لان شرائعنا تكون الهية موحى بها . هـذا حورابي قال للبابليين انه صعد الى الاله « الشمس » وتناول شرائعه منه فالشعب ، الشعب اكبر شكال له وزمام ان تقول له هذا الهام

« أنظر اننا صرنا قريبين من جبل سينا . فانا أصعد الى الجبل وامكث

---

(١) تك ٤٩ : ٥ — ٩

فيه مدة طويلة متوارياً عن هذا الشعب ، وتمكثون انتم في هذا القفر حتى يسأم الشعب ثم يضجر ، فاذا علا ضجيجهم جاؤوا اليك وقالوا هــذا أخوك موسي ذهب الى الجبل ولم يعد فلا شك في انه أكلته الضباع وها نحن أمسينا في البرية الجرداء وحيدين والظاهر ان اله أخيك هجرنا ونحن لانستطيع ان نعيش من غير اله فاعمل لنا الهاً آخر. أما انت فاياك والتسليم دفعة واحدة لئلا يستغشوك . ففي البداية دافع عني دفاعاً قوياً لنـــا ولكن بعد الحادثة الثانية اجعل في دفاعك منفذاً ضيقاً للشك ، ومتى جاؤوك للمرة الثالثة أبد لهم الارتياب في أمري ، وبعدئذٍ انحز اليهم وجاهر بنفورك مني ولكن تظاهر بغتة بعودتك الى الصواب وقل بصوت الحزين المتوجع : ولكن اني لي عمل اله آخر ، اله عظيم يليق بشعب كبير ولا ذهب ولا فضة لدي ؟ فيصرخوا : ان كان هذا العائق الوحيد ابشر فعندنا منه الشيء الكثير. وسيأتونك بالشيء الكثير بلاريب لان الشعب طامس العقل يبخل بفلس واحد على الفقير ويطرح بالالوف في هوى الكهانة

هرون ! ! ! هل فهمت ؟

— فهمت

— ولكن متى شرعت تصنع الاله فعليك ان تكبر حجمه حتى تستنفد كل الذهب الذي يجلب اليك . وكبر الحجم معقول مضمون لانهم سيختارون . . . . . احزر اي اله يختارون

— أي اله ؟

— أين ربي قومنا ؟

— في مصر

— وأي اله منظور يعرفون ؟

— ابيس

— أجل . ابيس العجل بل قل ابيس الثور . فاعمل الاله الجديد ثوراً بثورين بل بثلاثة ثيران . ومتى فرغت من صنعه وطفق الشعب يُعيّد ويعبد أرسل ورائي فأعود مغيظاً محنقاً والعن الشعب واهدده بالحرم ثم « اشقف » العجل ، وفي المباغتة والضوضاء والبلبلة التي تحصل نخبىء الشقف فيمسي الذهب في حوزتنا . على اننا نحتاج الى معونة بني عمّنا اللاويين ، وغداً في مثل هذه الساعة نجتمع ، فاذهب الآن وادع كبار العشائر اللاوية من الجرشونيين الى القورحيين

في المساء التالي كانت الجلسة حافلة . ولما استقر المقام بزعماء سبط لاوي دخل موسى ووجهه يشع ابتساماً فحيى الحاضرين قائلاً أسعد يهوه مساءكم وخذل أعداءكم يا ابناء عمي . فأجابوه ومساءك يا ابن العم

فقال موسى : اننا امة كبيرة سيكون لها شأن كبير ، فهل يوافقكم خروج الزعامة من بني لاوي الى سبط آخر ? فصرخوا ومن يجسر على اخراجها ? فقال موسى انبني يهوذا يحبكون شبكة مؤامرة هائلة وزعماء بقية الاسباط يؤازرونهم . والآن يجب ان تعلموا ان في نيتي سن شرائع لهذا الشعب طبقاً لما يوحي به الي الرب ، وكبرى الشرائع تنظيم الكهنوت ومرادي بعد اقناعي الرب ان احصر الكهانة في ذرية لاوي الى منتهى الاجيال (١) فتكون السيطرة على هذه الامة في يدكم ، وكل اموال هذا الشعب تسرب الى جيوبكم ، تتربعون في صدور كل البيوت وتأكلون خيرات الفلاح والصانع والتاجر وانتم لا تعملون عملاً سوى توسط وهمي بين الشعب والرب بمراسم واحتفالات فيها ابهة الملابس الفاخرة وجلال العزف

(١) عدد ٨ : ١٤

والتنغيم فهل تسمحون بان تكون الامرة والتنعم في بني يهوذا بدلاً منكم ؟

— مرنا تجدنا رهناً لاشارتك وقد جربت خناجرنا في مصر ليـــلة الارتحال .

— بورك فيكم فأنصتوا الى ما يناط بكم من المهمة الشاقة ، وقـد قالت الحكماء وَلِّ حارّها من تولى قارّها . واعلموا ان مستقبلنا ومستقبل ذريتنا متوقفان على نجاحنا في هذه المغامرة . انني صاعد الى هذا الجبل لاكلم يهوه ، فانني قد تسلمت منه دعوة لتناول العشاء معه على رأس الجبل ولتقرير مبادىء الشرعية التي اريد ان اضعها لشعبنا . ففي غيابي عنكم عليكم ان تهيجوا افكار الشعب ضدي بطريقة لطيفة ناعمة لاتوقـظ الحذر في قلوب مناوئينا ، اي انكم مع اظهاركم المحبة لي تفلتون عبارات تريب الشعب من صدق نيتي وصحة عزيمتي ، فيقوم علي جهراً الماكرون بي سراً فينكشف امرهم ويعرفون واحداً واحداً ، فاذا عرفتموهم خذوا علماً بهم وتربصوا .

« ولا بد من ان يؤدي هياج الافكار الى علوق الكثيرين بتصريحات خطيرة او باجراءات ثوروية فيظهروا بمظهر معكري صفا الشعب ، ومقلقي راحة الامة ، والمتآمرين على النظام فيحق لنا الايقاع بهم . ولما كان الحديث يفضي الى حديث اشد خطورة والحدث يجر الى حدث اوخم ورطة فلا بد من اتيانهم امراً اداً : عندئذ ابرز لهم انا وانادي « من كان للرب فالي » (١) فتهبون انتم وتنادون (لعينيك يا كليم الرب) ثم تفاجئون المشاغبين فتقرضونهم عن بكرة ابيهم »

ودس هرون هذه العبارة التي تسللت الى يومنا هـذا وفيها كل حكمة الاجيال : (وانا اضمن ان يكون خصومكم عزلا اذ لا بد لي من حيلة اجردهم بها من كل ما يدافع به فيكون النصر غنيمة باردة ، ونحن

---

(١) خر ٣٢ : ٢٦

دماء ابناء عمنا فلا نغضب الرب)

فقال موسى احسنت لانه هكذا يجب ان تساس الشعوب . والآن يا بني عمي قد فهمتم الخطة فعليكم ان تنفذوها بقلوب جريئة وسواعد ضربها يفلق الصخر . وتيقنوا اننا نتصرف بامر يهوه وما لنا غاية سوى سلامة الشعب وتمجيد اله آبائنا واجدادنا الذي وعد ابراهيم واسحق ويعقوب بالتسلط (١) على ارض كنعان وقرض كل الشعوب التي فيها (٢) واسمعوا ما قاله لي الرب عندما زارني البارحة لكي يقضي ساعة من الزمان في عشرتي ، اسمعوا واجعلوا هذه العبارة شعاراً لكم ولاولادكم من بعدكم بل اجعلوها لازمة نشيدكم الوطني : (اذا سننت سيفي البارق وامسكت بالقضاء أسكر سهامي بدم ويأكل سيفي لحماً بدم القتلى والسبايا ومن رؤوس قواد العدو ! (٣) والآن انصرفوا واستريحوا . اما ابن عمكم فيسهر لكي يهيء الخطاب الذي يجب ان القيه امام الرب بالاصالة عن نفسي وبالنيابة عنكم

فقاموا وانصرفوا مدهشين مشدوهين مبهوتين مصعوقين . وبعد خروجهم قال موسى لهرون : يجب ان لا يطلعوا على شيء من الخطة السرية ، فانهم ، وان كانوا ابناء عمنا ، ليسوا اهلاً للثقة الكاملة . اما انت فاذهب وادعُ ابنيك اليعازر وايثامار وابني عمك ميشائيل والصافان

ولما دخل هؤلاء شرح لهم موسى القضية كلها ثم التفت الى ميشائيل وربت صدره قائلاً : كيف هذا الصدر العامر ؟ او لا تزال تحسن النفخ في البوق ؟ فاغرب ميشائيل عينيه وقال مفتخراً : نفختي تدك الاطواد وتثير الزحافات من احجارها . فاجابه موسى : تسلم ! غداً نرى اذا كنت تقطع قلوب هذا الشعب بنفخة بوقك . اما انتما يا الصافان وايثامار

(١) انظر ١ ص ٢٤ (٢) تث ١٢ : ٢٩ (٣) تث ٣٢ : ٤١ – ٤٢

فعملكما يكون اشعال كل ما على هذا الجبل من البلان والتعبوب والطيون والزان حتى يتصل دخان الجبل بغمام السماء ، وعندما يتصاعد الدخان يأخذ ميشائيل بالنفخ في بوقه بكل مـــا اوتيه من نفس ، ومتى دوى صوت بوقه في هذه السهول والوديان تبتدئان انتما بدحرجة الشقفان من اعلى الجبل في مقلبه الخلفي ، ثم يقوم اليعازر ويشعل المفرقعات والمتفجرات التي علمته استعمالها . وانتبهوا الى ان اقدس واجباتكم هو ان تتقنوا عملكم وتبقوه في الخفاء حتى عن ابناء عمنا اللاويين ، لانهم اذا كانو هم كهنة هذه الامة بحسب نيتي فنحن رؤساء الكهنة . وتكونون وحـــدكم في الجبل اما انا فاكون في وسـط الشعب . ومتى حلت الخشيـة عـلى الجميع انادي انا الرب يدعوني فاصعد تاركاً الشعب فريسة الفرق

فسر الشبان من هذه الخطة ولكن اليعازر سأل عمه : ولكن لنفرض ان احداً من الشعب اقتحم الجبل لكي يتمتع بمرأى الرب في نومه ، افلا تنفضح ؟

— كلا ، لا ننفضح .

— لا افهم

— انك لا تزال غراً .... كل من يصعد الى الجبل او كل من يمس طرف الجبل نقتله قتلاً (١) فهل تخاف من الفضيحة بعد هذا ؟

— ليهوه درك يا عماه !

وفي اليوم التالي صعـد موسى الى الجبل ثم رجع وجمع شيوخ بني اسرائيل وقال لهم انني كنت على الجبل بزيارة للرب فقال لي سلم على بيت يعقوب وقل لهم : انتم رأيتم ما صنعت بالمصريـين . انا حملتكم على اجنحة النسور وجئت بكم الي ، فالآن ان سمعتم لصوتي وحفظتم عهدي

---

(١) خر ١٩ : ١٢

تكونون لي خاصة من بين جميع الشعوب ، فان لي كل الارض ... (١)
ففرح الشيوخ برجاء تملكهم كل الارض وتراءت لمخيلاتهم خزائن الذهب والقصور فقالوا كل ما تكلم به الرب نفعل (٢) فعاد موسى الى الجبل ولما وصل قال نهارك سعيد يا سيدنا فقال الرب أهلا وسهلا بموسى . ألم تتعبك هذه الطلعة ؟ فاجابه موسى ياسيدي متى كان السعي لتنفيذ خطة فالتصعيد سهل مثل التصويب .... فقال الرب وماذا اجابتك الجماعة ؟

– طابقوا وقالوا انهم يفعلون كل ما اقوله عن لسانك

– اذهب الآن وقل لهم انني آت اليك في ظلام السحاب (٣) لكي يسمعوا ولا يروا ، لكي يؤمنوا بك الى الابد ...

فعـــاد موسى واخبر الشعب بالكلام المعزو الى الرب ، وقال ايضاً مشوقاً : اذهبوا الآن واغسلوا ثيابكم وتقدسوا اليوم وغداً وكونوا مستعدين في اليوم الثالث . لا تقربوا امرأة (٤) وانظروا ، هـــذا الصخر هنا وتلك العطفة هناك وذلك الاخدود الطويل ، كل هذه حدود الجبل فلا يجوز لأحد منكم ولا من الكهنة ان يقتحم الجبل ليصعد الى الرب لئلا يبطش بكم (٥) انا كنت اود مـــن كل قلبي ان تصعدوا وتسألوا خاطر السيد الرب وتجلسوا ساعة زمان معه وتأكلوا لقمة ولكنه هو قال لي انه لايقبل زيارات وقت الشغل ، لذلك حذرني ان كل من يمس الجبل يقتل . لا تمسه يد بل يرجم رجماً او يرمى رمياً ، بهيمة كان او انساناً لا يعيش (٦) فقال رؤساء الشعب يكفينا من الرب مـا تأتينا به عن لسانه وان قلوبنا تمتلىء خشوعاً من مرأى جلاله من هنا، نحن نرضى بنظرة من بعيد

---

(١) خر ١٩ : ٤ — ٥ (٢) خر ١٩ : ٨ (٣) خر ١٩ : ٩
(٤) خر ١٩ : ١٥ (٥) خر ١٩ : ٢٤ (٦) خر ٩ : ١٣

وحدث في اليوم الثالث لما كان الصباح انه صارت رعود وبروق وسحاب ثقيل على الجبل وصوت بوق ميشائيل الشديد جداً ، فارتعد كل الشعب الذي في المحلة . وأخرج موسى الشعب من المحلة لملاقاة الله (١) فوقفوا في اسفل الجبل وركبة الواحد تصك ركبة جاره من الروعة . وكان جبل سيناء كله يدخن من اجل ان الرب نزل عليه (٢) بالنار التي اوقدها ألصافان وايثامار . وصعد دخان الشعبوب والازان كدخان الاتون وارتجف كل الجبل جداً من دوي متفجرات اليعازر . وكان ميشائيل يزداد حمازة فيزداد صوت البوق اشتداداً وموسى امام الشعب يتكلم والله يجيبه بصوت (٣) ألصافان بن عزيئيل عم موسى .

والتفت موسى الى الشعب رافعاً ذراعيه كمن يبارك وقال : « قد رأيتم بام العين فالى اي برهان بعد تحتاجون ؟ اسجدوا امام جلال الرب وانتظروا اشارتي فانني صاعد اليه » وصعد موسى . ثم عاد حالاً وقال للشعب ان الرب حذرني مرة ثانية فاياكم والاقتراب من الجبل ، ولكنه تلطف بناء على الحاقي وسمح لهرون وناداب وأبيهو والشيوخ السبعين بالصعود معي قليلاً والسجود له من بعيد (٤) واما الذي امر بأن يقترب منه فانا وحدي. فاجاب الشعب مطأطئي الرؤوس وقالوا : كل الاقوال التي تكلم بها الرب نفعل (٥)

عندئذ امر موسى بالذبائح فذبحت وامر فنصب مذبح واخذ نصف الدم فرّشه على المذبح والنصف الآخر فرّشه على الشعب وقال هوذا دم العهد الذي قطعه معكم الرب ! ! ! (٦) وامر بلحم الذبائح فشوي وعمل

---

(١) خر ١٩ : ١٧ (٢) خر ١٩ : ١٨ (٣) خر ١٩ : ١٩
(٤) خر ٢٤ : ١ (٥) خر ٢٤ : ٣ وتث ٥:٢٧ (٦) خر ٢٤ : ٤-٨

منه تزويدة سيران كبير ، وحمل الشيوخ السبعون الزاد وصعدوا مع موسى وهرون وناداب وابيهو، ولما وصلوا الى المكان الذي كانت عين موسى عليه قعدوا فرأوا اله اسرائيل من بعيد وتحت رجليه شبه صنعة من العقيق الازرق الشفاف (١) فلما رأوه سروا وطربوا فقال موسى « هنئتم ! فقد رأيتم الاله . فالآن كلوا واشربوا وانبسطوا . خذوا حريتكم . صحيح انكم كهنة وشيوخ ولكن الشعب بعيد لا يراكم . قد خلا لكم الجو فبيضوا واصفروا ونقروا ماشئتم تنقروا . اما انا فانني ذاهب للخلوه بالرب وتلقي الشريعة من فمه. فقالوا هاتفين مع السلامة ايها الزعيم، وهوَوا على المزاود يأكلون ويشربون (٢)

ولما رأى الشعب موسى ابطأ في النزول من الجبل(٣) اخذ الطامعون في الزعامة والحاسدون لموسى يتذمرون امام الشعب قائلين اين هذا موسى ؟ انه اخرجنا من مصارض الحيوات لكي نموت في القفر . نحن تبعناه اتكالا على انه وكيل يهوه علينا ، ولكن اين هو ؟ واين يهوه ؟ وكان فريق من بني لاوي يثير كوامن الشكوك في صدور الناس فتعالت الاصوات بالشكاية وتألفت لجنة ذهبت الى هرون وقالت : قم اصنع لنا آلهة تسير امامنا (٤) لان هذا موسى الرجل الذي اصعدنا من ارض مصر لانعلم ماذا اصابه . فقال لهم هرون وقد اخذ علماً بهم واحداً واحداً كما ان الموكلين من بني لاوي ضبطوا اسماء المحتجين : يا شباب في العجلة ندامة وفي التأني سلامة . ما هذه الضوضاء ؟ ان موسى اخي لا

---

(١) خر ٢٤ : ١٠ (٢) خر ٢٤ : ١١ (٣) خر ٣٢ : ١
(٤) خر ٣٢ : ١

يزال حيا وما ابطاؤه في النزول من الجبل الا مــــن كثرة الشغل ، فالشريعة التي يتلقاها من الرب كثيرة المواد متشعبة البنود . انه يدرس احوالكم الشخصية والدينية والمالية والصحية والاجتماعية ، فهل يتسنى لبشر ان يفرغ من عملٍ جليل مثل هـــذا العمل في مثل هذا الوقت ؟ فتريثوا يوماً او يومين فتروه بين اظهركم لان ميعاد رجوعه قد حل » فتفرق الحشد ولكنهم تألبوا ثانيةً في اليوم الثالث وخاطبوا هرون بجدة قائلين : ان موسى قد مـات والهه لا نعرف طريقة عبادته ، لذلك تحتم عليك ان تصنع آلهة اخرى تسير امامنا . فقال هرون ياجماعة انني ارى الحق في جانبكم ولكن ما ضل من صبر . تمهلوا بعد يوماً لعله من بعض الدروب يبين ولست اخالكم اشد قلقاً مني على سلامة موسى .

وفي اليوم التالي جاء جمع غفير فقالوا « والآن ؟ » فقال لامجال للشك فأخي اصابته مصيبة . فقالوا اصنع لنا آلهة نعبدها لاننا كيف نعيش من غير اله ؟ فسألهم واية آلهة تعبـدون ؟ فقالوا العجل المصري . فأجـابهم هرون بأسف : العجل المصري ! ذاك عجل من ذهب . فيا حسرتي ! من اين لي الذهب حتى اصنع لكم مثل العجل المصري ؟ فصرخوا عنـدنا من الذهب شيء كثير وذهبوا ثم عاد كل واحد وبيده كمية وافرة مـن الذهب المسروق من المصريين حتى انهم نزعوا اقراط الذهب التي كانت في آذان النساء والرجال ايضاً(١) فأخذ ذلك من يدهم وصوره بالازميل وصنعه عجلاً مسبوكاً . وبنى هرون مذبحاً امامه ونادى غداً عيد للرب (اي للعجل) فبكروا في الغد واصعدوا محرقات وقدموا ذبائح سلامة وجلس الشعب للأكل والشرب ثم قاموا للَّعب (٢) فصرخ هرون في

---

(١) خر ٣٢ : ٣ (٢) خر ٣٢ : ٦

الشعب « ان إلهنا الجديد لا يحب شعبه الا عراة الابدان فتعرى الرجال والنساء (١) وشرعوا يرقصون .

وكان في الليلة السابقة للعيد ان هرون ارسل الى موسى يخبره ان الذهب صار في حوزته وان الشعب متعر لا يقدر على مقاومة صبي . فهرول موسى من الجبل وقد ركب له الفرح جناحين ، لحصول الامر حسب توقعه . ولما وصل الى المنعطف الاخير تناول عن الارض لوحي حجر وسار متمهلاً كأنه لا علم له بشيء .

وكان عندما اقترب الى المحلة انه ابصر العجل والرقص فتظاهر بالغضب وطرح اللوحين من يديه وكسرهما في اسفل الجبل تكسيراً ناعماً . ثم وثب الى العجل وقلبه لا تعد نبضاته ، وحماه بالنار حتى لان فقطعه قطعاً بالحجم الذي يناسبه وعهد به الى هرون

ودرءاً للشبهات تظاهر انه يخاصم هرون فقال له ماذا صنع بك هذا الشعب حتى جلبت عليه خطية عظيمة ؟ فاعتذر هرون عذراً أقبح من ذنب (لو لم يكن ثمت اتفاق) بقوله : انت تعرف الشعب انه في شر فقالوا لى اصنع لنا آلهة تسير امامنا لان هذا موسى لا نعلم ماذا اصابه فقلت لهم من له ذهب فلينزعه ويعطني اياه فطرحته في النار وبعجيبة سماوية خرج هذا العجل (٢) فرضي موسى بهذا الجواب الفارغ . والتفت فرأى الشعب معرى (٣) طبقاً لما وعد به هرون . فانتصب وقد تنفخ ودجاه وصاح بالجملة (٤) المتفق عليها «من كان للرب فالي» فاجتمع اليه جميع بني لاوي ، جميع ابناء عمه الذين تواطأوا واياه على التخلص من

---

(١) خر ٣٢ : ١٩ و ٣٢ : ٢٥ (٢) خر ٣٢ : ٢١ – ٢٤

(٣) خر ٣٢ : ٢٥ (٤) خر ٣٢ : ٢٦

المزاحمين . فـأمر موسى : « عليهم اينما كانوا حتى في ابواب خيامهم » ففعل بنو لاوي بحسب قول موسى ووقع من الشعب في ذلك اليوم نحو ثلثة آلاف رجل (١) كل الوجوه المتطالبين الى الزعامة والذين كان يخشي شرهم على الشبهة . من ستمئة الف رجل عار لم يقتلوا الا ثلاثة آلاف أي انهم انتقوا الزعماء المعروفين والذين أظن بهم

ـ هرون !

ـ مالك

ـ كيف وجدت اخاك موسى

ـ عال

ـ دخل الذهب أم لم يدخل ؟

ـ دخل

ـ والمزاحمون ؟

ـ ذهبوا الى الظلمات السفلى

ـ والشريعة ؟

ـ صدّقوا انها من فم يهوه

ـ ومركزي أنا وبالتالي مركزك انت ؟

ـ أصبحت أنت الكليم الحميم والندم الصميم والعليم القويم ، لاتردلك اشارة

ـ فهل يخامرك ريب بعد الآن ؟

ـ كلا . ولكن ...

ـ ولكن ماذا يا قليل الايمان ، متحجر القلب ، صلب الرقبة ...

---

(١) خر ٣٢ : ٢٨

– ان الشعب لم يأت بكل الذهب الذي يحويه
– لا تقل هذا القول يا اخي !
– بلى ، اقول لانني متيقّن
– هذا لا يجوز بل يجب ان يسرب كلهُ الينا لمجد الرب وخدمة الشعب
– فعلى اية حيلة وطنت النفس ؟
– آه ! الحيلة يجب ان تنوع والا كشفت الطمة . فالآن مرادي ان احرك عواطفهم !

وكان في الغد ان موسى قال للشعب انتم قد خطئتم خطيئة عظيمة (١) ولكن مهما كان الامر ، فأنتم لحمي ودمي وانا لا يهون عليَّ ان يحقكم الرب كما قال لي يوم نصبتم العجل. لذلك سأصعد اليه واتوسط لكم عنده . قال هذا وتغللَ في الجبل وفي اليوم التالي عاد وقال انني واجهت الرب وكلمته بشأنكم وصرت اهون عليه واخفف من حدته حتى لان ووعد بالصفح قائلاً انه إلهٌ رحيم رؤوف بطيء الغضب وكثير الاحسان والوفاء غافر الاثم والمعصية والخطية ولكنه لن يبرىء ابراء (٢) لذلك اخلعوا زينتكم عنكم وانتظروا الى الغد ليعلم ماذا يصنع بكم . فقدم بنو اسرائيل شكرهم الى موسى من أجل شفاعته ونزعوا زينتهم وقالوا ان لهُ عليهم المنة وان نور عيونهم صار ملكاً حلالا لهُ

وصعد موسى الى الجبل وعاد بعد غياب قصير وجمع كل جماعة بني اسرائيل وقال لهم هذا الشيء الذي امر به الرب . خذوا من عندكم تقدمة للرب كل من قلبه سموح فليأت بتقدمة الرب ذهباً وفضة ونحاساً . فخرج كل جماعة بني اسرائيل

---

(١) خر ٣٢ . ٣٠

من قدام موسى ثم جاء كل من انهضه قلبه وكل من سمحته روحه بتقدمة الرب. وجاء الرجال مع النساء، كل الذين دفعوا الى مشترى رضى الرب، كل سموح القلب جاء بخزائم واقراط وخواتم وقلائد كل متاع من الذهب. والرؤساء جاؤوا بحجارة الجزع وحجارة الترصيع (١) الجميع قدموا تقدماتهم تبرعاً من خوف لا خسارة في حسابهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون

وفيما هم منهمكون في قبض المال وتكويمه جاء هرون وانفرد بموسى وقال لقد كثر الذهب والفتيان (اولاده) قد تعبوا من الحراسة، والآن بهذه الزيادة قد ازدادت المسؤولية، فعلينا ان ندبر طريقة لحراسة المال

– أصبت في رأيك. نعمل صندوقاً كبيراً

– ومن أين لك قفل لا يكسره احد ؟

– عندي قفل القداسة

– ؟؟!!!

– قفل القداسة. اي اننا نقول للشعب ان الرب امر ان من يقترب من الصندوق موتاً يموت لان الرب إحال عليه بجلاله (٢) ونضع ضمن الصندوق عصاي التي بها اجريت الملاعب السحرية في مصر ونضع ايضاً اللوحين المنقوشة عليهما الوصايا، فانك تعلم الشعب صدق ان للرب اصبعاً مثل الازميل وان النقش من حفر اصبعه. وبعد ان نخزن هذه الآثار المقدسة وبرفقتها عظمة

---

(١) خر ٣٥ : ٥ و ٣٥ : ٢٠ — ٢٧

(٢) عدد ٤ : ٥ و ١٥

من عظام يوسف نسمي الصندوق تابوت عهد الرب ، فهل تريد صندوقا أمتن وآمن من هذا الصندوق ؟

— عمر ! تسلم يا أبا جرشوم

وفي اليوم التالي قال موسى للشعب « انظروا . قد دعا الرب بصلئيل بن اوري بن حور باسمه وملأه بالحكمة والفهم وكل صنعة » وصنع بصلئيل التابوت من خشب السنط طوله ذراعان ونصف وعرضه ذراع ونصف وارتفاعه ذراع ونصف (١) (يسع اربعة ملايين ليرة انكليزية ولكن قدر ان استطعت قيمة الذهب من الخارج !) وغشاه بذهب نقي من داخل ومن خارج وصنع له اكليلاً من ذهب من حواليه، وسبك له اربع حلقات من ذهب على اربع قوائمه ، وصنع عصوين من خشب السنط وغشاهما بالذهب تغشية سميكة ، وأدخل العصوين في الحلقات لحمل التابوت ، وصنع غطاء للتابوت من ذهب نقي ، وصنع ملاكين من ذهب وركبهما على طرفي الغطاء ، وكان الملاكان باسطين اجنحتهما (٢) لكثرة الذهب الذي ماثل « حنّاء السكاف البيروتي » في الوفرة .

وبعد هذا كله بقي ذهب كثير فصنع المائدة وغشاها بذهب نقي واتخذ له قروناً (أي للمذبح) من ذهب نقي وهلم سحباً شديداً بالكاسات اللوزية والعجرات والازهار والشعب والسُرج والملاقط والمنافض والقوائم والقواعد والسوق والاكاليل والحيطان والسطوح والحلقات والصحاف والصحون والجامات (٣)

---

(١) خر ٣٧ : ١ (٢) خر ٣٧ : ٢ — ٩ (٣) خر ٣٧ : ١٠ — ٢٨

ومنع الجميع من الاقتراب من مسكن الخيمة حيث الخزينة العامرة لان كل من يقترب يبطش به بهاء الرب . حتى ان هرون نفسه ما سمح له موسى بالدخول الا في اوقات معينة وعليه جلاجل ذهب (غرارات) ورمانة جلجل ذهب على اذيال الجبة حواليها ليُسمع صوتها عند دخوله الى «القدس» أمام الرب وعند خروجه لئلا يموت(١) واعلن موسى ان من يقترب من التابوت يضرب بالبواسير ومن يمسه موتاً يموت (٢)
هكذا أُمِّنَ الكنزُ !!

وذهب هرون الى السهرة في خيمة موسى فألفاه مطمئن البال منشرح الصدر يحلم بمملكة قوية غنية اذ قد تمت له الزعامة المطلقة واجتمع لديه مال كثير فصار قادراً ان يرسل رسلاً الى ملك أدوم متى وصل الى تخومه ويقول «في السكة نصعد واذا شربنا أنا ومواشيّ من مائك ادفع ثمنه»(٣) ولقد صدق القائل من كثر البهار عنده صار يذر منه على اللبن . فالآن صار موسى يتبهور(٤) بدفع ثمن الماء ولو كان عنده ملك أدوم مدارس لتبرع لاحداها. واصبح موسى قادراً على شراء ما تحمله القوافل من سلاح اليمن والشام وايصالها على ما يريده فتأتي به اليه في عودتها ، حتى اذا نضجت خطته وقارب الهجوم على فلسطين كان عنده ٦٠١،٧٣٠ محارباً — عدد كل الجماعـــة من ابن عشرين فصاعداً كل خارج للجند (٥) عدتهم الحربية كاملة

---

(١) خر ٢٨ : ٣٣ — ٣٤ (٢) ص اول ٥:١٢

(٣) عدد ٢٠ : ١٩ وتث ٢ : ٢٨

(٤) انظر ٢٤ (١) (٥) عدد ٢٦ : ٢ و ٥١

وبعد ان مرت دقائق على دخول هرون التفت اليه موسى وقال: لقد تأسست مملكتنا بخلوص الزعامة واحتشاد الاموال

– الرب يهنئك يا أخي ويهنئنا بك وبما اذخرته من العدة للكفاح والبذخ على انني ارى انه يجوز ان يقنع الانسان بما لديه من معرفة ودين، أما المال فلا تحل في نظامه قناعة

– هذا لا شك فيه ، ومن قال لك انني قانع ؟ عمّا قليل نباشر الفتوح فأسن هذا القانون وهو ان الرب يسمح للمحاربين بسبي النساء والاطفال ونهب جميع البهائم والمواشي وكل الاملاك وباحراق جميع المدن بجميع مساكنها ،بشرط تقديم كفّارة الرب ، وسأجعل الكفارة ما يجده المحارب من امتعة ذهب حجولاً وأساور وخواتم واقراطاً وقلائد وشنوفاً (١)

– حسنٌ حسنٌ والشعب يقدم الذهب بطيبة خاطر لانه يعتقد انه يقدمه للرب . غير انني لا اعني بكلامي الاستزادة من الذهب الذي ينثال علينا بعد الفتح انما اعني انه لا يزال في يد الشعب الآن،في هذه الدقيقة ،ذهب كثير . فأنا ما نمت في هذه الايام بل كنت أتجسس واتقصى الكبيرة والصغيرة حتى تحققت وجود الذهب بكثرة ، فجئت اليك لكي تفتح جراب نبوغك وتستهوى الذهب اليك

فأطرق موسى واطال التفكير ثم رفع رأسه وقال : هرون ! انظر يجب علينا تنويع الاساليب ، ففي المرة الاولى لجأنا الى العجل وفي الثانية حركنا عواطف الشعب في الامور الوهمية . اما الآن فعلينا ان ننقر على وتر جديد نغمه دائم لا ينقطع فلنحرك اذاً عاطفة الشعب في الامور المرئية بشرط ان تكون في حالة الفرح

– لقد اعليت درجة الفلسفة عليّ

---

(١) عدد ٣١ : ٩ — ١٢ و ٢٨ و ٥٠ — ٥٢

– مثلاً اذا تزوج انسان وولد له الولد الاول فماذا تكون حالته النفسية؟
– سرور وحبور وفرح
– اذاً اكبسه! نفرض عليه ضريبة، ضريبة على كل بكر في اسرائيل (١) ونقول للشعب ان هذا تقديس العائلة امام الرب
– مُتقن تماماً
– الحبل على الجرار فاسمع. واذا ولدت بقرة او فرس او غنمة او عنزة
– يكون فرحه عظيماً ايضاً
– ركّب عليه! ضريبة مناسبة على المولود. ضريبة على كل بكر في بهائم اسرائيل (٢) ولا تستقل ما يدخل علينا من هذه الضريبة على الابكار! عد والحقني! كل سنة مئات الالوف
– هذا مزراب لا ينقطع لا في الشتاء ولا في الصيف. وما قولك اذا وضعت ضريبة ايضاً على الذين يموتون كأن تبارك قبورهم وتجعل نصيبهم مع الصالحين، اعني ... هكذا نقول للناس
– لا يا هرون. هذا فوق الطبع. وكل شيء زاد بالمعنى نقص. مع محبتي للمال ورغبتي في حشد المال وتوقف مستقبلي على المال لا تصل بي نفسي الى هذه المواصل من اساليب استنزاف الاموال. انهب ولكن بشرط ان تظل قريباً من المعقول المقبول. افلا يكفي المعثر فقد الحبيب او القريب حتى تكفن البلية ببلية ثانية؟ لا لا يا هرون. يجب ان نستمر في مستوى أعلى، فانتبه الى آخر ما عندي من الخطط ضماناً للدخل الوافر وهو ان نقسّم الشعب تقسيماً ادارياً ونجعل لكل خمسين او مئة زعيماً ولكل الف زعيماً وهكذا دواليك ولا نعين لهذه الزعامات

---

(١) خر ١٣ : ٢ و ١٢ – ١٣ ، (٢) خر ٣٤ : ١٩ – ٢٠

الا المتنفذين ونعين لكل وظيفة ثمناً نسميه قرباناً الرب (١) فنصير نحن بنجوة من مدّ اليد ، رئيس المئة يدفع لرئيس الالف وهذا يدفع الذي أعلى منه والنهاية معروفة : الساقية تصب في الجدول والجداول في النهر والانهار كلها تصب في البحر العجاج المتلاطم بالامواج الذي يبلع كل شيء ولا يظهر عليه
هذه يا اخي خطتنا المالية فأتقن درسها . وما بقي امامك الا معرفة الخطة الوفادية في معاملة الشعوب التي ننزل بينها . تعلم انت وعلم ابنك العازر خليفتك في رئاسة الكهنة ثم قل للشعب ان الرب امرنا قائلاً : وان لم تطردوا سكان الارض من أمامكم يكون الذين تستبقون منهم أشواكاً في اعينكم ومناخس في جوانبكم ويضايقونكم على الارض التي انتم ساكنون فيها (٢) يجوز لكم ان تتظاهروا بصفاء النية وحسن الجوار ويجوز لكم ايضاً ان تدينوا بدينهم في الظاهر حتى يستنيموا اليكم فاذا تثقّلوا في النوم تجعلون المياتد في ايديكم وتفورون اليهم وتضربون الاوتاد في اصداغهم حتى تنفذ الى الارض (٣) قرض السكان الاصليين او طردهم ! (٤) هذه مثلكم العليا فالى الامام يا اخي !

هذه منابت الذين أعلن ويزمن بالنيابة عنهم حب التعاون معكم ياسوريي وفسطين ! فحذار ! والسلام والصلاة على ارواح شهداء ١٧ حزيران . وجل من قال : « والعاديات صبحا ، فالموريات قدحا ، فالمغيرات صُبحا »

---

(١) عدد ٧ : ١٠ و ١١ و « ٢ » عدد ٣٣ : ٥٥ « ٣ » قض ٤ : ١٨ – ٢١
« ٤ » تث ١١ : ٢٣ – ٢٥ وتث ١٢ : ٢٩ – ٣٠ وخر ٣٤ : ١٢
وخر ٢٣ . ٢٩ – ٣٠

يصرف ربع هذا الكتاب
على تعليم افراد من ابناء
اللاجئين ، ضحايا الصهيونية
الاثيمة ، والاستعمار المقيت

الطبعة الاولى

صدرت عن مطبعة « فتى لبنان »

في سان باولو عام ١٩٣١

الثمن ٥٠ قرشاً لبنانياً